

سلسلة : وُصُولُ التَّهَانِي بِتَفْرِيعِ أَشْرَطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (7)

كَلِمَةٌ

**فِي الْإِخْلَاصِ
وَدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ
وَالْتَّعَلُّقِ بِاللَّهِ تَعَالَى**

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

— حفظه الله —

المُدَرِّسُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

أَلْقَاهَا بَعْدَ عِشَاءِ الْاِثْنَيْنِ

(19/ جمادى الأولى/ 1439هـ)

فِي مَسْجِدِ بَدْرِي الْعَتِيي - رَحِمَهُ اللَّهُ -

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، مرحمته - سبحانه وتعالى - للعالمين ، وحجته على الخلق أجمعين ، صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فإن الله - جل وعلا - قد أمرنا جميعاً بأن نعبد - سبحانه وتعالى - ، مخلصين له في عبادتنا ، وقال - جل وعلا - : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: 5] .

وقال - جل وعلا - : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: 14] .

وقال - جل وعلا - : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 110]

ويقول عليه الصلاة والسلام : " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى " ¹ .

فالواجب على المسلم أن يراقب الله - جل وعلا - في كل ما يقول ويفعل ، فلا يقصد بعبادته كلها إلا الله - جل وعلا - ، ولا يتبع أحداً من البشر اتباعاً في كل ما يقول مُصدّقاً له ، وفي كل ما يأمر وينهى ممتثالاً له إلا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فمن راعى هذا فقد أفلح وأنجح .

والعبد إذا مراقب الله - سبحانه وتعالى - في أقواله وأعماله وفقه الله ، وسدّده ، وإذا مراقب الناس وكَلَّه إليهم ، وخذله - سبحانه وتعالى - .

﴿ إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [آل عمران: 160] .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 126] ، ﴿ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الروم: 5] ، - سبحانه وتعالى - .

فالعبد إذا أخلص لربه أقواله وأعماله واتبع نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - ممتثالاً أوامره ، ومجتنباً

¹ رواه البخاري في " صحيحه (برقم 1) ، ومسلم في " صحيحه (برقم 1907) ، وعند مسلم بلفظ : (إنما الأعمال بالنية) .

نواهيهِ فقد أفلح وأنجح - كما قلنا - .

ولهذا : فيجبُ علينا جميعاً أن نراقب الله في أقوالنا وأعمالنا ، وأن نزنَها بميزانِ الاتِّباعِ لرسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ، قولاً وفعلًا .

وإنما هي أعمالٌ بنيتُها ولم يُفِتْ ربُّنا قولٌ ولا عملٌ

وليُعلم العبدُ أنه إذا راعى هذا الأصلَ العظيمَ أراح واستراح ، أراح غيره ، واستراح هو في نفسه ؛ وذلك لأنه إنما يطلب الثواب ويرجوه من الله - جل وعلا - ، وإنما يخافُ من الله - جل وعلا - .

فمن استصحب الخوف والرجاء أصلح أعماله وأحواله ، فالخوفُ مما عند الله ، والرجاءُ فيما عند الله ، وقَطَعَ قلبه عن التعلق بالخلق ، فمن قَطَعَ قلبه عن التعلق بالخلق ، وتعلَّقَ بالله أعزَّه الله - جل وعلا - ؛ وذلك لأنه حقَّق التوحيد حقًّا ، بعلمه أنه لا نافعَ إلا الله ، ولا ضارَ إلا الله ، ولا رافعَ إلا الله ، ولا خافضَ إلا الله ، ولا معزَّ إلا الله ، ولا مُذلَّ إلا الله .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: 26] .

فالواجب علينا - معشر الأحبة - أن نراقب الله في أقوالنا وأعمالنا ، فإن من راقب الله ملتصقاً بربه " رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس " ، وانظروا إلى قوله : " وأرضى " ، بهزمة المضارعة ، دليلٌ على أنه قد لا يرضى عنك بعض الناس في وقت من الأوقات ، لا يهتمك ما كنت سائراً قاصداً رضا الله في كل ما تقول وتفعل ، فأبشِرْ بأن العاقبة لك ، " رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخطِ الله سخطَ الله عليه ، وأسخطَ عليه الناس " ¹ .

¹ رواه ابن حبان "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان" (510/1) ، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب والترغيب" برقم (2250) .

فالناس قد يرضون عنك إن جارتهم على ما يريدون ، لكن العاقبة هنا خزيٌ وندامة في الدنيا تَجَرَّعُهَا قبل الآخرة ، أما في الدنيا فَيَقْلِبُ اللهُ - جل وعلا - عليك الأمور ، لأنه هو الذي يُقَلِّبُ قلوب العباد ، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه - سبحانه وتعالى - ، ما شاء منها أقامه ، وما شاء منها أزاغه - سبحانه وتعالى - ، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: 23] .

فَيَقْلِبُ اللهُ هذه القلوب التي رضيت عنك عاجلاً ؛ وذلك بتبصيرها بالباطل الذي ارتكبتها لترضيها ، وإن كان فيه سخط الله - جل وعلا - فَيَقْلِبُ اللهُ هذه القلوب ، وَيُنَوِّرُ البصائر ، فتبصر مداهنك ، فتتقلب ذامَّةً لك ، وإذا كان الأمر كذلك فليعتبر العبد ، وليعلم أنه إنما كُفِّ بالإخلاص له - سبحانه وتعالى - ، وتجريد المتابعة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا عمل الأعمال فعليه ألا ينظر إلا إلى الخالق - جل وعلا - ، لأنه بأعماله يرجو ثوابه - سبحانه - ، ويخشى عقابه .

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ [الكهف: 110] .

وهذا العمل الصالح هو الدين القيم الذي قال فيه - جل وعلا - : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: 5] .

فعلينا - معاشر الأحبة - جميعاً أن نخلص لله في أقوالنا وأفعالنا ، وأن نراقب أنفسنا ، ونفتش عن قلوبنا ،

هل دخلها شيء من حظ الرباء والسمعة ؟

فإن "مَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ ، وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ" ¹ .

¹ رواه البخاري في "صحيحه" برقم (6499) بلفظ: "مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ" ، ومسلم في "صحيحه" (برقم 2986) بلفظ: "مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ" .

و "من عمل عملاً أشرك مع الله فيه غيرهُ فهو للذي أشرك ، وهو منه - سبحانه وتعالى - بريء" ¹ .

والله - جل وعلا - ورسوله أحق أن نرضيه ، إن كنا مؤمنين ، وإذا وضع العبد هذا نصب عينيه أمراح واستراح ، فيستوي في حقه المادح والقادح ، لأنه لا ينبغي المدح ، ولا يترفعُ به ، ولا يتكشّرُ به ، وإذا استوى في حقه المادح والقادح فقد وُفّق ، لأنه إنما نظر إلى الله - جل وعلا - ، والعاقبة للمتقين ، قال - جل وعلا - :

﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : 120] .

فهما كادك عدوك وأنت مخلصٌ لله ، باغٍ ما عند الله ، لا تلتفت إلى مخلوقٍ : أظهركَ الله - جل وعلا - .

فيجب علينا - معشر الأحبة - أن نراعي هذا الأصل ؛ أصل الإخلاص في الأعمال والأقوال ، وهذا بابٌ عظيم ، يُدخل فيه على العبد ، يدخل الشيطان منه على العبد دخولاً كثيراً ، وكثيرٌ من الناس يُؤثر الآجل على العاجل ؛ لا يريد أن يناله في الدنيا شيء ، ولا أن يُجرح بشيء ، وهذا محالٌ ، لم يسلم منه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، الله - جل وعلا - أمرنا بأن نستقيم كما أمرنا - سبحانه - .
أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يوفقنا وإياكم جميعاً لمرضاته ، وأن يسلك بنا وبكم جميعاً سبيل طاعته ، وأن يُنور قلوبنا وبصائرنا بالحق والهدى ، وأن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين ، والبصيرة فيه ، والثبات عليه حتى نلقاه ، إنه جوادٌ كريم .

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين .

¹ رواه مسلم في "صحيحه" (برقم 2985) .